# آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية.

تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

السنة الثانية - العدد الثامن ، شوال ١٤١٥هـ / مارس ( آذار ) ١٩٩٥م



الصفا

لصاحب امتيازها ومديرها علي ناصر الدين اللبناني

الجزء الاول

سنة ١٨٨٦

طبعت في بيروت بالمطبعة الادبية على نفقة منشئها

مجلة الصفا اللبنانية

# ليبيا

# في مخطوطات الرحالة المغاربة

الدكتور عبد الكريم كريم

رئيس جمعية المؤرخين المغاربة - الرباط

من دراستنا لتاريخ الرحلات المغربية إلى المشرق، نلاحظ أن بعضها كان يتم خلال القرن السادس عشر الميلادي بواسطة البحر المتوسط خاصة وأن النفوذ العثماني كان يشمل مناطق هامة من حوض هذا البحر؛ ومن ذلك على سبيل المثال: رحلة التامكروتي الى إستانبول عام ١٥٨٩-١٥٩٠م. غير أن اضطراب البحر المتوسط أواخر القرن السادس عشر الميلادي - نتيجة تحول طرق التجارة العالمية إلى المحيط الأطلسي وما رافقه من انتشار للفوضى في بلدان الشمال الإفريقي - أجبر القوافل على اتباع الطريق الصحراوي الذي ينطلق من مراكش عبر تافيلالت وتوات وبسكره وتوزر نحو فزان وما جاورها حتى وادي النيل. ومن ذلك الرحلتان المغربيتان اللتان قام بهما كل من ابن المليح عام ١٠٤٠ هـ وأحمد لهوتوكي عام ١٠٩٦هـ غداة تولية الباشا أحمد القرامانلي، أصبحت القوافل المغربية تأخذ طريق الساحل الليبي حتى النيل، ومن ذلك رحلات كل من الدرعي عام ١١٢١هـ والزبادي عام ١١٤٨هـ. الحضيكي عام ١١٥٢هـ والصغير عام ١١٥٢هـ . والناصري عام ١١٩٦هـ...

**أولاً : طوبوغرافية المنطقة**

أ - بالنسبة للطريق الجنوبي الصحراوي

ب- بالنسبة للطريق الشمالي الساحلي

مع تفاصيل لأسماء الأماكن الرئيسية التي كانت تحط بها القوافل وتقدير للمسافات التي تفصلها.

١ : **الطريق الجنوبي الصحراوي**: ينطلق من مدينة مراكش إلى وادي درعة وإلى قصبة تنزولين ثم بلاد بلبالت وتوات (هنا يتم اللقاء عادة مع الوفد السوداني) فصحراء أزكيز وبلاد فزان بليبيا.

تعبر القوافل الصحراء الجنوبية الليبية في طريقها نحو الشرق:

أ - بلاد فزان، وأهم محطاتها: أبار (أباري)، مدزك (مرزوق)، جرمة، دجان، ززي، تراغن (طرغين)، زويلة، تبسه (تمسه).

«أول منزل نزله الركب وصادفه المولى الرب قصر أبارصانه الباري... فاتصل الخبر بأميرها... فوجه من فرسان دولته وخدام مملكته نحو اثني عشر فارساً... ثم انتقل بعده لقصر يقال له جرمة ... أهله جياد وأيامه أعياد أكثر لحومه الدجاج ثم بعده

لقصر دجان... ثم لقصبة السلطان الجليل الرئيس محمد بن جميل وهي المعروفة بمدزك... ما أحسن سيرته في رعيته وأنشد عدله في بريته... تأهب أعانه الله للقيا الحجيج وتلقاه بفرح وسرور... وأمر قاضي عسكره وصاحب النوازل الشرعية ببلده أن يستنفر له من الركب دروة فاختار له عشرة فجالسهم بالمحكمة... ثم أمر بمنادينا من ضيع لمغربي خروبة قطعت يده ومن ضيع له مثقال قطع رأسه» (ابن مليح، ص ٢٢-٢٣).

ثم ارتحل القوم وحلوا «بقصر ززي ثم نزلنا بقصر تراغن قصر عظيم» حيث استضافهم هناك الأمير عمر التراغني .أما «زويله فيحكى أنها كانت مدينة عظيمة كثيرة النخيل وفيها مزارات وأثار تدل عليها ويذكر أن دفات أبوابها هي القائمة على باب زويله أحد أبواب مصر وسميت بذلك» (ابن مليح، ص٢٤).

واتجه القوم إلى «مورد يقال له أبو اللباع غابة من شجر وفيه أبار قصار قريبة الماء ثم لقصر تبسه وهو أعلى قصور فزان وآخرها كثيرة المياه والعيون» (ابن مليح، ص ٢٥).

ب - بلاد «الفقها بلدة في صحراء بين جبلين فيها عيون جارية ونخيل قطوفها دانية». (المرجع السابق، الصفحة ذاتها).

اما «زلة فمدشر صغير لامعاش عندهم ولاقوت إلا ماء يسمونه (اكب) يستخرجونه من النخيل أبيض حلو ثم يطبخونه ويستخرجونه منه». (المرجع السابق، الصفحة ذاتها).

٣ - بلاد وجلة «رحب المسعى كثيرة المرعى أحدقت بها الجنات من الجوانب تسقى بالدوالب زرعها كثير وخيرها غزير تجلب لها الأرزاق من الأقطار والآفاق، كثيرة اللحوم والسمن، يجلب لها ذلك من الجبل الأخضر من برقة تأتي القوافل منها كثيراً. أهلها سماح الوجوه وبنيانها يشبه بناء المغرب في الشكل. ولها بابان: أحدهما لناحية المشرق، والآخر لناحية المغرب. وأعذب آبارها بئير بباب البلد منها يسقون لان غيره لايشبهه في الطعم...

«وارتحل الركب لنهل قريب من البلاد يعرف بجراجي، فيه آبار... وبعده بلاد صحراوية لاترى فيها إلا رياحا تهب، وكتائب الرمل كأنها رواحل تخب، يقال له الغرود تطيش له العقول... وفيها كهوف ودور يقال إنها لقوم عاد منحوته في الجبال. سرنا فيها أكثر من نصف يوم». (المرجع السابق، الصفحة ذاتها).

ومنها «لبلاد سيوره مدشر عظيم على ربوة مرتفعة، دُورُها بعضها فوق بعض كثيرة الأشجار والنخيل متفجرة العيون تشبه جناتها جنات بلدنا مراكش». (المرجع السابق، الصفحة ذاتها). ومنها نحو مصر.

ب: **الطريق الشمالي الساحلي**: ينطلق من مدينة قابس التونسية نحو مدينة طرابلس وسرت واجد وابية وبرقة فمصر... «كان دخولنا طرابلس ضحى الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان [عام١١٤٨هـ] وكان نزولنا حيث ينزل ركب الحاج في وسطها... فيها مساجد وأسواق، وتقام بها الجمعة وأهل البلد يسمونها الظهرة من الظهور لأنها ظاهرة أي عارية من النخيل بخلاف العمارات المتصلة بهذا البلد من كل جانب فإنها كلها وسط النخيل والحجاج يسمونها الزرارية باسم رملة متصلة بما بينها وبين البلد يعمر بها سوق عظيم» (الزبادي، ص ٢٣).

«وفي يوم الثلاثاء أول يوم من رمضان [عام ١١٤٨هـ] دخل الركب الوارد من المشرق

والقاصد بلاد المغرب فنزل أيضا هاتيك الدور وشرع كل من الركبين في قضاء الأمور وأخذنا في كتب الكتب إلى من خلفنا بفاس من الأحبة كالأهل والأشياخ وذوي المحبة» (الزبادي، ص ٢٥).

بعد مدينة طرابلس يواصل القوم طريقهم بمحاذاة الساحل «بتنا عند عين عافق على ساحل البحر... ثم بتنا عند جبل النكازة... وفي سفح هذا الجبل من جهة الساحل مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة قد خلت قديماً وبقيت آثارها... ثم نزلنا إلى ساحل حامد... ومررنا ببلدة أزلتين وهي بلدة مثل التي قبلها في النخيل والسواني». (الزبادي، ص ٣٥، ٣٦).

أما مدينة «مسراته فسرنا فيها ما شاء الله وبتنا، ومن الغد.... نزلنا ضحى زاوية الشيخ العلامة... قطب مغربنا وإمام أئمتنا أبي العباس أحمد البرنسي... الشهير بزروق رحمه الله». (الزبادي. ص٣٧).

من الأماكن التي وقف فيها القوم: النعيم - المنعم وبقربها مقطع الكبريت «سمي بذلك لأن في أعلى سبخة هنالك معدن الكبريت في آبار كثيرة يحمل منها كالطين ومن هنالك يحمل إلى مصر والإسكندرية ومن المنعم يفارق الركب البحر فيتيامن عنه». (الزبادي. ص ٤٤).

واجد أبيه «بلد قرب برقه... والموجود اليوم آثارها الدالة على العمارة الكثيرة وهي آبار كثيرة في براج من الأرض عظيمة منقورة في الحجر وبقية بنيان حولها متين هائل بالحجر المنحوت وهنالك رسم مسجد قديم... ومن أجدابية إلى سلوك... أبر في فسيح من الأرض وبإزائها رسوم بناء... وسلوك بمرأى من الجبل الاخضر قريبا من مرسى ابن غازي... ومن سلوك يحمل الركب ماء سبعة أيام لأن طريقهم في هذه الازمنة على السروال وهو مسيرة سبعة أيام لاماء فيها» (الزبادي، ص٤٥).

و«التميمي... ماؤه على قلته ليس بالطيب وبينه وبين درنة مسافة يوم ونصف وهي مدينة على ساحل البحر لها مرسى عجيبة تنزل بها السفن» (الزبادي، ص٤٨).

ومن المحطات أيضا: الدفنه، الجرجوب حيث «يميل الناس يساراً إلى البحر في منحدر صعب مشرف على البحر فينزلون إلى رمل أبيض يظهر من بعيد كأنه الثلج فيخرجون الماء منه بعد حفره». (الزبادي، ص٤٨).

وهناك الشمام والمدار والعقبة ووادي الرهبان فبلاد مصر.

## ثانياً : اقتصاديات البلاد

١ - الزراعة ورعي الماشية.

٢ - التجارة في المدينة الرئيسية (طرابلس)، وفي جميع المناطق التي تحط بها القوافل.

- مواد التجارة: مزروعات وماشية ومصنوعات.

- التجارة الخارجية: تتم عبر البحار.

- التجارة الداخلية: مع أهم المناطق الجنوبية.

٣ - طرق المواصلات ووسائلها.

من أهم المناطق الخصبة:

- قرى زيزور: «ذات عنب وزيتون كثير» (الصغير، ص٧٥).

- بلاد طرابلس «ونزلنا الترابلس مدينة على شاطىء... كثيرة المزارع والبساتين والفواكه بأنواعها» (الحضيكي، ص١٥).

- وادي الرمل «واد متسع عذب الماء لاينقطع ماؤه صيفا وشتاء... وهو واد مخصب من أعلاه فيه مزارع تخرج إليه ماشية أهل طرابلس أيام الربيع» (الدرعي، ص٤٥).

- وادي السيد «هو كالذي قبله أو أخصب منه

وماؤه ماء غريب لاينقطع صيفاً ولاشتاء» (الدرعي، ص٤٦).

– جبل النكازه «وزيت هذا البلد من أطيب الزيوت مذاقاً سيما ضرب منه يسمونه ضرب الماء يعصرونه بالماء ولا أدري كيف يصنعون بذلك لاتكاد تميز بينه وبين السمن» (المرجع السابق، الصفحة ذاتها).

– ساحل حامد «وبلدة حامد بلدة كبيرة ذات نخيل كثير ومزارع وأسواق وزيتون إلا أن نخله رديء التمر كنخل هذه السواحل كلها» (الدرعي، ص٤٨).

– مزارع سرت «وبلاد سرت من أخصب البلاد ذات مزارع كثيرة بالعمل وعربها أهل رفاهية» (الدرعي، ص٥٨).

– الجبل الاخضر «لايوجد أخصب منه ولاأكثر منه... وطول هذا الجبل نحو عشرة أيام... وأكثر أشجار الناحية التي مررنا بها العرعر حتى إنه من شدة اشتباكه والتفافه لاينفذ الناس فيه الا في طرق معلومة وشُعَب مسلوكه» (الدرعي، ص٦١-٦٢).

اما اهم المراكز التجارية فهي مدينة طرابلس التي ظلت المركز الرئيسي للتجارة والمبادلات: «يعمر بها سوق عظيم... وفيها يلتقي الركب الوارد من المشرق... وشرع كل من الركبين في قضاء الامور». (الزبادي، ص٢٥). «ومن هذه المدينة يقضي الجميع المحتاج إليه من بغال وقرب وزاد... ويبقى الخير لاهل البلد ومن العجب أن السعر لايزيد عما كان وربما نقص». (الصغير، ص٧٧).

«وهذه البلاد... تأتيها الأقوات براً وبحراً». (الصغير، ص٢٣٢). «لأهل طرابلس ومن والاهم شراب يسمى اللقم... ترى الرجل يبيع من نخلة واحدة ما ثمنه عشرون مثقالا فأكثر» (الناصري، ص١٢٧). «ولك ان تشتري من مدينة ترابلس حياك سواداً وطواقي تلقي فيها ربحاً وتستخرج حوائجك في طريقك» (الحضيكي، ص١٥). «برج الملح بناه الطرابلسي... ووجدنا في مرساه سفناً ومرساة وقوارب موقورات بالملح» (الناصري، ص١٤١).

ومن المراكز التجارية الاخرى:

– جبل النكازه «وهناك تسوق أهل مسلاته الركب... بزيت كثير طيب رخيص» (الدرعي، ص ٤٦).

– برقه «في أعلى السبخة معدن الكبريت في آبار كثيرة يحمل منها كالطين ومن هنالك يحمل الى طرابلس وكذلك الى مصر» (الدرعي، ص٤٩).

– سلوك «به تتعرض الأعراب للأركاب لقصد التسوق ويجلبون إليها الكثير من الثمار والزرع واللحم والابل» (الدرعي، ص٦١).

– ابن غازي «مرسى حسنة بسفح الجبل الأخضر... تنتقل منه السفن الى طرابلس وجربة» (الدرعي، ص٦١).

– أولاد علي «نزلنا واشترى الناس منهم ما ارادوا من الشعير لدوابهم والغنم والدقيق والتمر نصف ريال للقفة» (الدرعي، ص٦٣).

– التميمي «موضع فيه آبار غزيرة المياه... ووجدنا هناك بعض العرب بكثير من الغنم فاشترى الناس منهم غنماً رخيصة وإبلاً وشعيراً وسمناً» (الصغير، ص٢٠٩).

ومن جهة اخرى لم يفت بعض الرحالة المغاربة ان يقارنوا بين بعض المناطق بليبيا ومثيلاتها بالمغرب:

– «بلاد وجله بلاد رحب المسعى كثير المرعى... أهلها سماح الوجوه وبنيانها يشبه بناء المغرب في الشكل» (ابن مليح، ص٢٥).

– «بلاد سيوره مدشر عظيم على ربوة

مرتفعة... تشبه جناتها جنات بلدنا مراكش» (ابن مليح، ص٢٥).

- «تمر سوى أجود التمر لم نر من يوم خروجنا من فجيج وتفللت تمراً يشابه تمر بلدنا إلا هذا لوناً وطعماً» (الصغير، ص٨٩).

- «الجبل الاخضر... فيه كثرة شجر العرعار وغيره ولم نر جبلا يشبه جبال بلادنا سواه» (الصغير، ص٢١١).

- «جبل النكازه وهو مثل جبل درن المعروف بسوس». (الناصري، ص١٦٦).

### ثالثاً : أنماط المجتمع الليبي

من دراستنا للمخطوطات السالفة الذكر، نتعرف على أنماط مختلفة للمجتمع بليبيا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين على النحو التالي:

- هناك المقيمون بالمراكز الحضارية كمدينة طرابلس وفي بعض القرى المتطورة المنتشرة بالسواحل وبعض المناطق الداخلية.

- هناك البدو الرحل حيث الكلأ والعشب.

- تفاعل المجتمع الليبي مع قوافل الحجاج.

- مشاكل بعض القبائل المتنقلة وعوامل خروجها أحياناً.

- من العوامل التي يعاني منها الرحالة الأمرَّين الطبيعة القاسية والتضاريس الصعبة، ومهاجمة بعض القبائل للقوافل، وضعف الأمن، وانعدام السلطة احياناً.

تتعدد مراكز العمران بالقطر الليبي وخاصة في سواحله الشمالية وتأتي في الطليعة مدن: طرابلس، مسراته، أجدابية، برقة أما في المناطق الصحراوية فيتجمع القوم في الواحات حيث الماء والكلأ وبعض الأراضي الصالحة للزراعة مثل: قصر الباري، جرمة، دجان، مدزك، قصر ززي، قصر تراغن، زويلة، الفقها، زله، وجله....

ومن جهة اخرى فإن لكل نمط من أنماط المجتمع عاداته وتقاليده، من ذلك كما دونته هذه المصادر:

- «انكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزامير وسائر الآلات والأشعار والألحان» (الدرعي، ص٤٩).

- استعمال شراب يسمى «اللقم حيث يعمدون إلى النخلة فيقصون جريدها حتى الذي في وسطها... وهو يقدم للضيف في القرى كالقهوة عند معتاديها» (الناصري، ص١٢٦).

ومن اشهر القبائل:

- عرب عكاره، وعبد النبى، وابن مريم (الدرعي، ص٣٤).

- أولاد علي. (الدرعي، ص٦٣-٦٤).

- أعراب النوائل. (الناصري، ص١٤١).

- بنو سعد، وعرب ازواغه. (الناصري، ص١٤٤).

- عرب أكماضة. (الناصري، ص١٦٦).

- أولاد سليمان. (الناصري. ص١٧٢). «وأعراب هذه النواحي لازالت معهم في كلامهم بعض فصاحة ونطق بلغة قديمة وأفصح منهم أعراب برقة لقلة مرور الناس بهم وعدم مخالطتهم لغيرهم وقلة جولاتهم وعدم دخولهم الأمصار» (الناصري، ص٢٣٢).

وكثيراً ما كانت بعض القبائل تدخل ضد بعضها البعض في منازعات. «القبائل الموجودة... هي أولاد سليمان... يغيرون تارة على أعدائهم...» (الناصري، ص١٧٣). أو تغير على القوافل. «ومررنا على أولاد علي والحرابة بعد الظهر وظهرت فيهم مخائل المكر وأخذ الناس حذرهم منهم وتأهبوا أهبتهم واجتمع الركب وجعلوا له ميمنة وميسرة وشمروا

لحاربتهم... ورمت الناس البنادق إرجافاً بهم وإظهاراً للقوة وإرهاباً لهم وخافوا غاية الخوف» (الدرعي، ص ٦٤).

«وتبعنا خيل من السلالة يطلبون غرة من أخريات الركب ولكن الله سلّم وتلك عادتهم قطعها الله من عادة» (الصغير، ص٩١).

وكان لجور الحكام أحياناً أخرى الأثر الأول في اضطراب الاوضاع «وبلاد سرت هذه من أخصب البلاد وعربها أهل رفاهية إلا أن الجور أجلاهم عن بلادهم وشتت شملهم ولايكاد أمرهم ينتظم» (الدرعي، ص٥٨)

## رابعاً : في المجال السياسي

تلقي هذه المخطوطات الضوء على أوضاع البلاد الليبية خلال القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي يوم كان الباشوات الأتراك ومساعدوهم يتقاسمون الحكم والسلطة بالشمال، بينما تعيش المناطق الجنوبية في عزلة وفي أوضاع خاصة تحت حكم عدد من الأمراء العرب.

وكثيراً ما كانت المراكز الليبية الرئيسية كمدينة طرابلس مثلاً تتعرض لهجومات خارجية كما حصل عام ١٠٩٦هـ حين هددت المدينة بالاحتلال الأجنبي، وكيف أنّ جهود العامة تعبأت لمواجهة الغزو بما في ذلك جميع من في الركب المغربي، الذين اعتقدوا ان الجهاد في سبيل الله والدفاع عن ديار الاسلام والمسلمين اعظم مما سواه.

على أنّ تولية الباشا أحمد القرمانلي الأمر في طرابلس وما قام به لنشر الأمن في البلاد كان له أكبر الأثر في تطور الأوضاع العامة من الأمثلة التي أوردها الرحالة الدرعي في مخطوطه عن جهاد الليبيين ضد الهجوم الصليبي الذي تعرضت له مدينة طرابلس عام ١٠٩٦هـ. والذي شارك في رد عدوانه وفد الحجاج المغاربة: «وفي رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين والف حاصر الكفار طرابلس... فإذا بسفن ثلاث ظهرت في البحر ثم تتابعت الفلك في اليوم نفسه إلى أن كملت اثنتين وعشرين سفينة فأقاموا عليها بقية الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وأهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم... والمسلمون في هذه الليالي كلها لاينامون بل يحرسون على البحر ويطوفون حوله ونحن ركبنا معهم في ذلك مستهلين بالشهادة رافعين أصواتنا بالتكبير معلنين بالصلاة على البشير النذير... فلما كان بعد صلاة العشاء ليلة السبت ضرب الكفرة دمرهم الله بمدافعهم فرأينا من ذلك مالم نره قط ولاسمعنا به ترى البارود حتى يخرج من بخش المدفع فإذا بكورة محماة تحكي الشهب خرجت منه صعدت ثم يرمون بأخرى وترتفع أكثر من الأولى ثم تتدلى هابطة فاذا وقعت بالأرض سمع دوي هائل تصم منها الآذان فتتصدع في الموضع الذي وقعت فيه وتتفرق ولاتقع على بناء إلاّ وهدته... ولما قرب الزوال زحفوا للمرسى فعاقهم من بالبرجين على البحر من المرابطين وردوهم على أعقابهم بما قذفوهم به من الكور والمدافع» (الدرعي، ص٣٩).

«وطرابلس مدينة مساحتها صغيرة... ونكايتها للعدو شهيرة... بها مراكب قلّ نظيرها معدة للجهاد في البحار قلما تسافر وترجع بغير غنيمة... فجزاهم الله خيراً وأعانهم على ماوالاهم من ذلك» (الناصري، ص١٤٩).

وعلى طول الساحل الليبي أضرحة وزوايا المجاهدين التي يرابط بها القوم دفاعاً عن ديار

المسلمين ضد الغزاة الصليبيين «وهذه المزارات كلها... تأوي إليها الجهابذة من الزهاد والأئمة الأفذاذ لقصد الرباط وحراسة الإسلام لكونها ثغراً من الثغور العظام» (الدرعي، ص٤٤).

ومن تلك المزارات:

- «ضريح الإمام أحمد بن أحمد بن رزوق البرنوسي الفاسي» (الدرعي، ص٥٣).

- «وبه [الساحل الليبي] من الصالحين القدماء السيد حامد مقبور على ساحل البحر» (الناصري، ص١٤٥).

- «زار الركب عدداً من الأولياء مثل قبر الولي مفتاح على شاطئ البحر... وزاوية سيدي علي الفرجاني... وزاوية سيدي علي بن عبد الصادق» (الناصري، ص١٦٨).

وأشاد رحالتنا بعدد من الأمراء العرب مثل حاكم مدرك محمد بن جميل «ما أحسن سيرته في رعيته وأشد عدله في بريته» (ابن مليح، ص٢٣). ونوهت بكرم وحسن استقبال عدد من المراكز العربية في الصحراء. «انتقل الركب بعده لقصر يقال له جرمة... أهله جياد وأيامه أعياد، أكثر لحومه الدجاج» (المرجع السابق، الصفحة ذاتها).

ووقفوا في الوقت نفسه عند جور حاكم طرابلس الباشا التركي وكيف أن الأمر أدى إلى قيام ثورة ضده. «وقعت فتنة واختلاف بين أهل طرابلس وباشاها حينئذ [شعبان١١٢١هـ] كان ظلوماً فجوراً يقدم الكفرة من الروم على أهل الإسلام واتخذ بطانة من النصارى ويوليهم على المسلمين وأضر بالمساكين ولا لأحد عنده حرمة، فلذلك قيض الله له من نفاذ من أهله وقبيلته وقامت معه العامة وأسعدوه على نفيه... فسدوا المدينة في وجهه والشوارع بين يديه» (الدرعي، ص ٣٥).

ومن الأمثلة على سوء تصرف هؤلاء الباشوات وتعسفهم قول الصغير: «وتبعنا خيل من السلالة يطلبون غرة... وهم كثيرون انضاف إليهم كثير من عرب برقة وطرابلس ممن يفر من جور عمال طرابلس» (الصغير، ص٩١).

وكثيراً ما اعرب هؤلاء الحجاج عن أمانيهم في أن يقيض الله لهذه البلاد من يوطد الأمن وينشر العدل ويمهد السبيل «ولو احتسب أحد من الولاة بحفر بئر فيه لكان له في ذلك أعظم أجر لأنه في محل بعيد من الماء في كل الجهات» (الدرعي، ص٦٢).

«القبائل الموجودة حتى النعيم وما حوله... رئيسهم الآن يدعى... يغيرون تارة على أعدائهم... وربما خافه أهل طرابلس... أراح الله منه ومن أضرابه العباد والبلدان» (الناصري، ص١٧٣).

وعندما تولى أمر البلاد الباشا أحمد القرمانلي عام ١١٢٣هـ = ١٧١١م وتمكن من إقرار نوع من الأمن والاستقرار عكست ذلك مخطوطاتنا. «فألفينا البلاد في غاية ما يكون من الرخاء... وفي هذه المدينة [طرابلس] يلتقي الركب المغرب مع الركب المشرق... وهذه نعمة من الله تعالى له الحمد وله الشكر ومن هذه المدينة يقضي الجميع المحتاج إليه... ويبقى الخير لأهل البلاد ومن العجب أن السعر لايزيد وربما ينقص» (الصغير، ص٧٧).

## خامساً : الناحية الفكرية

- تعدّ المدن الكبرى أعظم المراكز العلمية حسب هذه المخطوطات، وتتضمن من جهة أخرى أسماء عدد من العلماء والفقهاء الليبيين وكذا المدارس والمساجد التي كانوا يدرسون بها والمؤلفات التي ألفوها وقد هاجر إلى ليبيا عدد من علماء الإسلام من بينهم بعض العلماء المغاربة الذين رابطوا بمناطق مختلفة من البلاد إلى أن توفوا بها.

- يتعرض مؤلفو هذه الرحلات المخطوطة إلى تاريخ كل منطقة على حدة، بل ويرجع في ذلك إلى عدد من المصادر القديمة والمراجع الحديثة المعاصرة لزمانه، أضاعت الأيام معظمها، فكان أن أصبحت مصادرنا هذه بمثابة قولهم: «إذا ضاع الأصل حل الفرع محله».

حرص رحالتنا على مجالسة العلماء وحضور مجالس العلم خلال مرورهم بالقطر الليبي، وسعوا إلى الاستفادة من المؤلفات وتسجيل الكثير من المعلومات الهامة المفصلة عن الحياة الثقافية سواء في المدن والمراكز الساحلية أم في الواحات الصحراوية الجنوبية. «كان دخولنا طرابلس... وقد اجتمعت هنالك في منزلي بالفقيه العلامة عمر بن محمد بن علي المغربي الشهير بالسوداني من أمثل أهل زمانه علماً وديانة... وممن ورد علي أيضاً في منزلي الفقيه محمد بن محمد بن عبد الكافي يدعى بوعثور الصفاقسي... وقد أخبر أن عندي نسخة من الرحلة العياشية و عنده نسخة منها فيها شيء من التصحيف فأراد مقابلتهامن نسختي» (الزبادي، ص٢٤).

«نزلنا بعد هذا ضريح سيدنا الإمام الشيخ أحمد رزوق الفاسي... وعليه قبة في جانب جامعه ومدرسته مازالت عامرة إلى الآن وفيها إذاك الطلبة يتعاطون العلم بحسب الإمكان» (الحضيكي، ص١٥).

«والتقينا هناك [طرابلس] بالفقيه السيد عبد الرحمن بن حسين... ومع الفقيه الشريف محمد الفرجاني وهو عالم عامل وتكلمت معه في مسائل من الفقه والحديث ومع تلميذه الفقيه السيد بن ناصر وأدخلنا داره وأكرمنا... وشيخ الجماعة المدرس السيد محمد العكلاني ووجدته يدرس به المذهب المالكي والحنفي وحضرت مجلسه في صحيح البخاري فأبدى وأجاد وزرت الفقيه الناسك... محمد بن مصطفى المغربي في داره وهو شيخ معروف بالصلاح ابتنى مدرسة لطلبة القرآن والعلم ويعلمهم فيها ويمون ما أمكنه منهم» (الصغير، ص٧٧).

«وبقينا بطرابلس... والتقيت بشيخنا محمد بن مصطفى المغربي... وقرأت عليه أول صحيح البخاري... وأجازني به لفظاً دون كتابة» (الصغير، ص٢٣٢).

«وقد وقفت لهذه القصيدة على شرح لسيدي محمد بن عقيل الطرابلسي سماه: التذكار فيمن ملك طرابلس أو كان بها من الأخيار» (الناصري، ص١٥٣).

وحرصا منهم على الأمانة العلمية أشار بعضهم إلى عدد من الملاحظات التي يجب أخذها بعين الاعتبار مثل موضوع الأسماء «واعلم أن اعتمادنا في تسمية مراحلنا السالفة والمياه السابقة على خبر الدليل ولربما رشحناه بخبر بعض الأعراب أن اجتمعنا به والعهدة عليهم لكونهم أهل البلد» (الناصري، ص١٧٥).

□ □ □